

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الدرس الخامس والعشرون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً نافعاً اللهم اغفر لنا ولشيخنا أجمعين قال :

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) (٦٧) الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ) [ رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواه ثقات ] .

وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: ( لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم ). [ رواه في المختارة ] .

[ الشرح ]

◈ نعم قال المصنف - رحمه الله - تعالى باب ما جاء في حماية المصطفى

من المصطفى؟ نبينا ﷺ وهذا وصف حقيق به لأن الله تعالى يقول: { الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس } فلا شك أنه المصطفى ولقوله ﷺ إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فهو المصطفى بحق ﷺ، باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد،

جناب التوحيد أي جانبه فهو يحمي جانبه أن يمس وأن يتسور فحماه النبي ﷺ كما يحمي صاحب الحمى حماه من الكلاً والعشب وغير ذلك وسده يعني باب ما جاء فيه سده

كل طريق يوصل إلى الشرك بأبي هو وأمي ﷺ هذا منطبق عليه غاية الانطباق

### ◊ ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:

أن المصنف - رحمه الله - قد ذكر في الأبواب السابقة ما قاله النبي ﷺ على وجه العموم في حماية التوحيد فأراد أن يبين في هذا الباب ما جاء من الحماية الخاصة لجناب التوحيد ولنستمع قال:

وقول الله تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ) لقد جاءكم من المخاطبون؟ العرب ابتداء لأنه بعث فيهم ولأنه قال من أنفسهم إذا لقد جاءكم يعني يا معشر العرب،

"رسول من أنفسكم" يعني من جنسكم وفتتكم وبلغتكم ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه سنة إلهية أن يبعث الله الرسل من وسط قومهم وبلغتهم من أنفسكم وهناك قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم من النفاسة، "عزيز عليه ما عنتم" يعني شديد عليه يعز عليه "ما يعتكم" يعني ما عنت الأمر الذي يعتكم ويلحقكم من جراه العنت هذا شديد عليه ﷺ بكمال شفقتة ورأفته بأمتة، تنمة الآية:

"حريص عليكم": أي شديد الحرص على ما فيه نفعكم والتحذير مما فيه ضرركم في العاجل والآجل ومن تتبع سيرته ﷺ وجد هذا جليا فإنه لم يدع شاذة ولا فاذة إلا واهتم لها وبينها لأمتة ﷺ

"بالمؤمنين رءوف رحيم" فهو شديد الرأفة أي الشفقة، وبلغ الرحمة بالمؤمنين، وهذا يدل على أنه يجوز أن يطلق على المخلوق ما يسمى به الخالق على اعتبار أن ما للمخلوق يليق به، وما للخالق يليق به ذلك أن الرءوف من أسماء الله الحسنى ولكنها سمي بها النبي ﷺ لأن رأفته تليق بجنابه وكذا رحمته وكذا رأفة الله ورحمته تليق به سبحانه وبحمده إذا هذا يدل دلالة خاصة -

### ◊ مناسبة هذه الآية للباب:

أنها تدل دلالة خاصة على شدة شفقة النبي ﷺ، وتحريه الخير لأمتة، وحرصه على دفع الشر عنهم الذي أعظمه الشرك بالله تعالى هذا وجه مناسبة الآية للباب.

### ◊ وفيها ما يدل من الفوائد:-

- على أن النبي ﷺ حذر أمتة من الشرك قطعا؛ لأن أعظم خطر يتهدد الأمة هو الشرك فلا يمكن أن يكون النبي ﷺ ينهى أمتة عن أمور يعني سهلة وعملية وأدبية لفظية أو عملية ويدع أعظم الأمور وهو أمر التوحيد

- أيضا نستفيد من ذلك فضل الله تعالى علينا ببعثة هذا النبي الكريم؛ فهذا منة من الله يمتن الله علينا بذلك فينبغي أن نقدر قدر هذه النعمة.

- وفيه أيضا شرف النبي ﷺ في قومه؛ لقوله من أنفسكم يعني من أوسطكم نسبا من أنفسكم وعلى القراءة الثانية واضحة يعني من أنفسكم

- وفيه أيضا بيان أوصاف النبي ﷺ؛ وهو حرصه على أمته ورأفته ورحمته بهم

- فيه أيضا ما يدل على أن غير المؤمنين على الضد من ذلك؛ لأنه قال ها هنا بالمؤمنين رءوف رحيم إذا ماذا عن المنافقين والكافرين؟ استمع { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم } فهو ﷺ كما أنه رءوف رحيم بالمؤمنين حريص عليهم يعز عليه ما يعتهم فهو على النقيض مع الكافرين فإنه شديد عليهم

◆ قال وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( لا تجعلوا بيوتكم قبوراً )

ما معنى لا تجعلوا بيوتكم قبورا هل المقصود لا تتخذها مقابر تدفنون فيها الموتى؟ لا لأن هذا أمر غير وارد فالبيوت ما من أحد يجعل قبره موضعا للدفن وإنما مراد النبي ﷺ أي لا تعطلوها عن الصلاة والعبادة فيها فتكون بمنزلة القبور،

وهذا يدل يا معشر الأذكياء على أنه كان مستقرا عندهم ماذا؟ أن المقابر ليست موضعا للعبادة، والسجود، والصلاة، والدعاء فلهذا خاطبهم بأمر متيقن ومثل مستقر عندهم فقال لا تجعلوا بيوتكم بمنزلة القبور لأنه قد استقر عندهم أن القبور ليست موضعا للصلاة والدعاء المطلق وغير ذلك وإنما الدعاء للمقبورين فقط طيب قال الجملة الثانية:

" ولا تجعلوا قبوري عيداً، " عيداً أي موضعا تعتادونه زمانا معينا يعني تعتادون مجيئه وقصده زمانا ومكانا فإن العيد مأخوذ من العود، والعود هو التكرار فهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره مزارا معتادا وإنما أذن النبي ﷺ بل شرع لأمته أن يقصدوا ماذا؟ مسجده قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ذكر منها مسجده، وأما القبر فلا يشد إليه الرحل لكن من كان حاصل في المدينة النبوية فإنه يشرع له أن يزور قبر النبي ﷺ وأن يزور قبور الصحابة وغيرهم في البقيع، وأن يزور قبور الشهداء في أحد فيشرع له إذا كان حاصلًا في المدينة لكن لا يشد الرحل من بلده إلى المدينة بنية زيارة القبر ثم قال بعد ذلك:

"وصلوا عليّ"، و الصلاة منا على النبي ﷺ دعاء له بأن يذكر عند ربه في الملاء الأعلى " فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم " كأن النبي ﷺ لما نهى عن اتخاذ قبره عيداً وسد هذا الباب فتح لنا باب آخر وهو أن نعوض ذلك بماذا؟ بكثرة الصلاة والسلام عليه فإن صلاتنا تبلغه حيث كنا ولو كنا في أقاصي الأرض قال رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

### ○ إذا مناسبة هذا الحديث لهذا الباب:

أن في هذا حرص النبي صلي الله عليه وسلم علي سد الطرق المفضية إليه في أخذ قبره عيداً

#### ◆ فستفيد من هذا الحديث:-

- وجوب سد الطرق المفضية إلى الشرك والغلو بقصد القبور وشبه ذلك
- كذلك دل الحديث على مشروعية وفضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ في أي موضع كان
- نستفيد ثالثاً أنه لا فرق في الصلاة والسلام عليه بين من قرب من قبره أو بعد عنه
- ونستفيد أيضاً النهي عن شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ؛ لأنه قال لا تجعلوا قبوري عيداً

#### ◆ ثم قال: "و عن علي بن الحسين" هذا علي بن الحسين ما لقبه؟ زين العابدين وهو خيار التابعين في زمانه فهو

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو أفضل التابعين في زمنه توفي سنة ٩٣ للهجرة،  
" أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة " ما المقصود بفرجة؟ فتحة " كانت عند قبر النبي ﷺ

فيدخل فيها" أي أن ذلك الرجل زين له وراق له أن يدخل في ذلك المكان ويخلو بالدعاء وقع في قلبه أن الدعاء في هذا الموضع له منزلة لقربه من القبر الشريف

"فنهاه علي بن الحسين وقال:

ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي- من أبوه؟ الحسين رضي الله عنه-

عن جدي- من جده؟ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن رسول الله ﷺ يا له من سند، سند شريف علي بن الحسين بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ قال:

لا تتخذوا قبوري عيدا وقد تقدم معنا هذه الجملة

ولا بيوتكم قبورا فإن تسليمكم يبلغني أين ما أو حيث كنتم [رواه في المختارة] من الذي رواه في المختارة؟  
الضياء المقدسي - رحمه الله - لأن هذه الأحاديث المختارة أحاديث زائدة على ما في الصحيحين وقد جمعها ضياء  
الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي - رحمه الله - تسمى المختارة

فزادنا هذا الحديث ذكر التسليم على ما تقدم في الحديث السابق من قوله فإن صلاتكم، وينبغي أن يعلم بأنه لا  
يتم الأمر إلا بالجمع بين الصلاة والسلام لأن ربنا تعالى قال: { يا أيها الذين آمنوا صلوا وسلموا تسليما } فلا  
يكفي أن يقول الإنسان اللهم صلي على محمد بل يقل اللهم صلي وسلم على محمد ولا يكفي أن يقول عليه السلام  
بل يقول عليه الصلاة والسلام

◆ فمناسبة هذا الأثر بل هذا الحديث مع القصة التي فيه

أن نبينا ﷺ كان شديد الحرص على سد كل طريق يفضي إلى الشرك وأخذ ذلك عنه أصحابه والتابعون لهم  
بإحسان

◆ نستفيد من هذا الحديث:-

- النهي عن الدعاء عند قبور الصالحين لأن هذا الرجل الذي كان يدخل الفرجة ماذا كان يصنع كان يدعو  
فنهاه علي بن الحسين

- وفيه أيضا مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد رأى منكرا فغيره؛ قال نبينا ﷺ من رأى منكرا  
منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وعلى هذا فينبغي للواحد منا أيها الإخوة إذا قصد  
بيت الله الحرام أو مسجد رسوله ﷺ ورأى من بعض المسلمين الذين لم يتح لهم أن يتعلموا التوحيد شيئا من  
الأخطاء أن يجتهد في تعليمهم كثير من الناس يذهب للعمرة أو لزيارة ويرجع ولم يقل كلمة واحدة في الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر مع أنه يرى من حال الناس وأخطائهم الشيء الكثير لكن لا يرفع بذلك رأسا ولا يرى  
بتركه بأسا وهؤلاء التابعون الكرام إذا رأوا ما يريهم بادرُوا بالإنكار والنهي كما فعل علي بن الحسين

- وفيه أيضا ما دل عليه الحديث قبل من تحريم السفر إلى زيارة قبر النبي ﷺ لقوله لا تتخذوا قبوري عيدا لأن اتخاذه عيدا يقتضي السفر إليه

- وفيه أيضا أنه إذا كان الغرض من زيارة قبر النبي ﷺ هو والسلام عليه فإن ذلك يحصل ولو من مكان بعيد لأن قوله فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم، إذا فهمن من هذا أن المقصود من الوقوف من قبره ﷺ ماذا؟ السلام عليه والصلاة عليه، ولعلنا في هذا المقام نذكر الطريقة الصحيحة في زيارة قبر النبي ﷺ فإن من كان في المدينة وأحب أن يزور القبر الشريف وقبر صاحبه فإنه إذا حاز رأس النبي ﷺ حيث تبدو الدائرة المفتوحة في السور المحيط بحجرته ﷺ

فإن أفضل صيغة أن يقول (( السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ))

فإن هذه الصيغة هي التي علمها النبي ﷺ أمته فقد علمهم السلام عليه ثم قالوا يا رسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فخير ما تقول في هذا المقام دون تزيد أو إطالة أن توجه وتقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

ثم تخطو خطوة حتى تكون قبالة رأس أبي بكر وهي خطوة قريبة والسبب أن هذه القبور الثلاثة ليست مصفوفة جنب إلى جنب بل أقربها إليك قبر النبي ﷺ ثم رأس أبي بكر حيال قدم النبي ﷺ من وراءه ثم بعد ذلك عمر لعلة حيال وسط أبي بكر رضي الله عنهما فهم متوالون ليسوا صفا بل قبر النبي ﷺ ثم يليه قبر أبي بكر ثم قبر عمر رضي الله عنهما وﷺ على نبيه، فتقول وجاه قبر أبي بكر السلام عليك يا خليفة رسول الله وتدعوا لهم بما أحببت اللهم اجزه عن أمة محمد خير الجزاء ثم تخطو خطوة وتقل السلام عليك يا أمير المؤمنين لأنه أول من سمي بأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه بينما كان أبو بكر يقال خليفة رسول الله ﷺ وتدعو بجمله ثم تنصرف لا تطيل القيام هذه هي الزيارة المشروعة، وإذا أحب الإنسان أن يدعو يذهب وليستقبل القبلة ولا يدعو باتجاه القبر كما يفعل بعض الجهال بل إن أحب أن يدعو فليذهب باتجاه القبلة ويدعو لأن هذا ليس مشروعاً في أصله لكن على اعتبار مشروعية الدعاء مطلقاً فإنه لا يستقبل القبر بالدعاء

◆ طيب لنستمع إلى المسائل.....

[ قراءة المتن ] : قال فيه مسائل :-

- الأولى: تفسير آية براءة.

[ الشرح ]: و قد تقدم معنا تفسيرها وما تضمنته من الصفات الشريفة لنبينا ﷺ

[ قراءة المتن ]

- الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

[ الشرح ]: نعم لكونه ﷺ لعن من اتخذ قبور أنبيائهم مساجد، ونهى أن يتخذ قبره عيداً، وعلل بأن الصلاة تبلغه حيث كان فكل هذا منه ﷺ من حرصه على أمته ورأفته ورحمته بهم

[ قراءة المتن ]

- الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

[ الشرح ]: كما قال تعالى: { حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }

[ قراءة المتن ]

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

[ الشرح ]: و ذلك من قوله لا تجعلوا قبوري عيداً أو لا تتخذوا قبوري عيداً فهذا هو الوجه المخصوص وهو أن يكون على سبيل الاعتياد وشد الرحل إليه فلا يعتاده الإنسان حتى من كان في المدينة لا يرتب موعداً دائماً ثابتاً لزيارته بأن يتخذ ليلة معيناً أو يوماً معيناً يذهب إليه فكل ما أفاده لفظ العود فهو منهى عنه لكن يفعل ذلك لما

[ قراءة المتن ]

- الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

[ الشرح ]: نعم لأنه قال عيدا والعيد مأخوذ من العود وهو يعني التكرار لقوله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبورا هذا يقتضي أن تعمر البيوت بذكر الله وبالصلاة وينبغي معشر طلبة العلم أن تشيعوا هذا بين الناس فيبيوت كثير من المسلمين اليوم وللأسف صارت موطناً للشياطين حيث لا يسمع منها إلا المعازف ولا يرى فيه إلا ما تبته وتنفره هذه الفضائيات الخبيثة من الصور الماجنة وغير ذلك فيجب طرد هذه الشياطين بذكر الله تعالى وإقام الصلاة كانت بيوت المسلمين فيما مضى أيها الأخوة محلاً لقيام الليل وللتهجّد وقراءة القرآن والذكر حتى آل الأمر إلى ما آل إليه فينبغي على طلبة العلم أن ينشروا هذا بين أهليهم وذويهم وأن يحثوهم على كثرة الذكر والصلاة وأن هذا من أعظم أسباب الحفظ والصون من أذى الشيطان الحسي والمعنوي

[ قراءة المتن ]

- السادسة: حثه على النافلة في البيت.

[ الشرح ]: من الجملة السابقة فإنه يدل على الإكثار من النوافل في البيوت إذ أنه نفر من إخلاءها من العبادة بتشبيها بالمقابر

[ قراءة المتن ]

- السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

[ الشرح ]: لأنه لا يمكن أن يضرب المثل بالمقابر إلا لأنه مستقرا عندهم .

[ قراءة المتن ]

- الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

[ الشرح ]: نعم تعليله ذلك المشار إليه هو عدم شد الرحل إلى قبره واتخاذه عيدا هذا هو المشار إليه بقوله ذلك فيما علل هذا النهي بأن صلاته وسلامه يبلغه حيث كان فلا محوج لشد الرحال إليه

[ قراءة المتن ]

- التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

[ الشرح ]: هذا من خصائصه ﷺ أنه ما من مسلم يصلي ويسلم عليه إلا رد الله عليه روحه فرد عليه السلام، وهذه حياة برزخية فإن نبينا ﷺ قد مات قطعاً ولكن الله تعالى يرد عليه روحه فيرد السلام وقد جاء مثل ذلك حتى لأحاديث المسلمين فقد روى ابن عبد البر أنه ما من مسلم يقف على قبر أخيه يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه فرد عليه السلام..